

"ضوابط وآداب النصيحة والنقد في الإسلام"

أ. عامر رضا.

المركز الجامعي - ميلسة.

*- الملخص:

تكشف هذه الورقة عن أهمية النصيحة كمنهج حياة شرعي داخل المنظومة الاجتماعية التي يعيشها الفرد المسلم ، وأهم الضوابط والشروط التي تؤسس للسلوكات والمعايير الخلقية بين المسلمين دون إفراط أو تفريط من أجل ضمان حياة ملتزمة ومقننة بتعاليم وثوابت أساسية، كاحترام الناقد وتقبل نصحه، ومنهج النصيح الشرعي الذي ينبغي أن يتوفر في الشخص العامل بالنصيحة على وجه الخصوص وصولاً إلى رفع الحرج عن النصيحة وجوازها بين المسلمين، بغية الخروج من المأزق والمهالك التي تنغص الحياة، ولكن بوجود النصيحة وتعميم استعمالها وتقبلها بصدر رحب يمكن أن تعطي رؤية نقدية شرعية في تناول الظاهرة السلوكية المنقودة ، وهذا كله حفاظاً على أسس المجتمع وكيانه ومنظومته التي أمرنا بها الله تعالى ورسوله الكريم.

*- توطئة:

تُعاني حالياً كثير من الجمعيات المسجدية، والشخصيات الإسلامية الدعوية المعاصرة من ظاهرة الحساسية الزائدة من قضية النصيحة والنقد، فلا يقبلون نصيحة من ناصح، ولا نقداً من ناقد حتى ولو كان عالماً بضوابط الشرع، وكأنهم يتعالون فوق النصيحة، خاصة عندما تقول صراحة لأحدهم: "اتقي الله في نفسك أو غيرك" فإن ذلك الشخص المنصوح ثور نائزته عليك وتجده دائم التربص بك ويكيد لك كيذا عظيماً بما أنك ناصحته، فإما أن عمدته وتطريه، ولو بما ليس فيه وعندها فقط تكون شخصاً محبوباً له، وإما أن تسكت، وتكون شاهد زور، وشيطاناً أخرساً، والله تعالى يقول في هذا الصدد ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْرُحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨٨) آل عمران: (١)، وقال أيضاً على لسان عبده ونبيه صالح، قَالَ تَمَالَى: ﴿وَقَالَ يَنْفَوِرُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾ (٧٩) الأعراف: (٢).

فالنفور من النصيحة، والإعراض عنها، وعدم محبة الناصحين من صفات وأخلاقيات الكافرين لا المؤمنين إطلاقاً ، لقد غاب فيهم النقد الذاتي الداخلي البناء الجريء المخلص الذي يصف الأشياء بمسمياتها الحقيقية وبما تستحقه، والذي يحدد مواضع النقص والخلل والتقصير في العمل والبرامج، والمناهج العلمية والشرعية من غير زيادة ولا نقصان، حيث لا تكاد تجد منهم من يقول لمن فوقه أو معه في الحزب أو الجماعة اتق الله يا هذا، أو هذا خطأ والصواب من هنا، لأن الناصح في أخلاقياتهم الحزبية والتربوية سرعان ما يُسيئون به الظن؛ ويعتبرونه عدواً للجماعة أو الحزب ويستحق في نهاية المطاف الطرد والعقوبة منهم، وتعميم التحذير منه ومن خطره.

وفي المقابل الآن نشهد فوضى في ممارسة النصيحة، وإحياء العمل بواجب التناصح، ونقد الآخرين، وبخاصة إذا كان الناصحُ ينتمي إلى حزب أو عصبية معينة يختلف تماماً في الجوهر الذي ينتمي إليه المنصوح، فحينئذٍ حدث ولا حرج عن لهجة التصعيد والتجريح، والتشهير، والتنازع بالألقاب والأحكام من دون حرج، وهذا كله يتم باسم النصيحة، وإحياء العمل بواجب التناصح فيما بين المسلمين، فهيهات هيهات فهم بعيدون عن مغزى التناصح الذي شرعه الإسلام بين المسلمين، تجدهم يعتدون تارة ويظلمون معاشر المسلمين تارة أخرى، ويمارسون صفة الكذب باسم النصيحة والتناصح، والنقد البناء، وما يحملهم على ذلك سوى الرغبة في التشفي والانتقام من المنصوح.

والمتبع للواقع يجد أن هناك من يغالى في فهم النصيحة، وعملية ممارسة النصيحة أو النقد، حيث تراهم يحصرون النصيحة أو النقد في تكفير المنصوح تارة فإن خطأته وأنصفته وأنصفت الحق منه، فهذا في نظرهم غير كاف، وأنت لست بناصح، ولا تكون ناصحاً حتى تصدع بتكفير المنصوح تارة أخرى بغير وجه حق، وكأنه خرج من شرعة الإسلام وهو لا يعلم، وفي الحقيقة هذه المآسي التي يجباها بعض المسلمين من ذوي القلوب الضعيفة والمريضة، تجب علينا معالجتها في حينها حتى لا ينتشر وباؤها في جسد الأمة بين مختلف فئات المسلمين والمسلمات.

والناصح أو الناقد الشرعي عليه أن يميز السلوكات التي يجب أن ينصح فيها دون مغالاة منه في النصح والتوجيه والإرشاد حتى لا يقع في مواقف الحرج أو الزجر التي تؤدي بالنصح والنصيحة أن تخرج عن فحواها الشرعي الذي شرعت له، والحوار اللين هو مفتاح قلب المنصوح تدرجياً حتى يقتنع بمافعله من خطأ في حق الشرع والمسلمين، ويحاول الناصح أن يعرفه بوجوب إصلاح مافعله من آداب يجب أن تحترم، وأن يقتنع بذلك، ولو استطاع الناصح أن يجعل من المنصوح ناصحاً في الحياة لكان ذلك أعظم إنجاز في إصلاح الأنفس وتقواها، وهو العمل المنشود أن نكون كلنا ناصحين حسب الضرورة الشرعية وفي المكان الذي نكون فيه، كدور العلم "من معاهد ومدارس وجامعات" وأماكن العمل في المؤسسات الوطنية والأجنبية، حتى في الأسواق والساحات العمومية والمقاهي... وغيرها من أماكن تجمع المسلمين، وبذلك تكون النصيحة نافذة، ولها دور هام في المجتمع المسلم.

من كل ما سبق ذكره، نشعر أن المسألة أكبر من ذلك بكثير، وتحتاج منا إلى ضبط وترشيد وتوجيه مستمر، مما حملنا على أن نشرع — بإذن الله — في بيان أهم الآداب والضوابط الشرعية التي ينبغي أن تُحاط بها عملية النقد والنصيحة والعملية التناصحية بشكل عام، من خلال طرح جملة من الأسئلة التي نرى أن تجيب عنها الورقة البحثية.

* - ماهي شروط التناصح والنقد بين المسلمين؟

* - كيف نضع الضوابط الشرعية في تحديد أشكال التناصح؟

* - ماهي موجبات النصيحة والنقد بين المسلمين؟

وللإجابة على هذه الأسئلة السالفة للذكر كانت الدراسة، قد وضعت خطة ستمكن من خلالها تقديم إجابات

كافية شافية، وهي كالآتي:

1- ماهية النصيحة النقدية في الإسلام:

أ- مفهوم النصيحة: هي بذل النصح للغير، والنصح معناه أن الشخص يجب لأخيه الخير، ويدعوه إليه، وبينه له، ويرغبه فيه، والنصيحة في عموم القول هي ضد المكر والغش والخيانة والخديعة والريث، وهي لا تتحقق أصلاً إلا بوجود مبدأ الأخوة الحققة لقوله تعالى: **قَالَ تَمَّالٌ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** (١٠) (٣) أي: إذا تحققت فيهم شروط ومعاني الأخوة ونحلى بها عامة المسلمين، حتى نستطيع إقامتها فيما بيننا وتؤدي مفعولها الشرعي الذي وجبت عليه أصلاً، إذ لا نستطيع تقديمها دون أن نكون حضرنّا

موجباتها الشرعية ومبرراتها التي تجعل الفرد المسلم يُقبل عليها ويتداولها في حياته اليومية دونما حرج من النصيحة أو الناصح، لأنه في نهاية الأمر ستحقق سعادة المجتمع المسلم، وقد حددت المعاجم والقواميس العربية معنى النصيحة، مثل ما ذكره العلامة ابن منظور الأفريقي، في مؤلفه لسان العرب الذي شرح فيه جليا لفظة النصيحة، بشكل مسهب، إذ يقول: «نَصَحَ الشَّيْءُ: خَلَصَ وَ النَّاصِحُ الْخَالِصُ مِنَ الْعَسَلِ وَ غَيْرِهِ، النَّصِيحُ: نَقِيضُ الْغَشِّ مُشْتَقٌّ مِنْهُ نَصِيحُهُ، قَالَ تَعَالَى: «وَأَنْصَحْ لَكُمْ» وَيُقَالُ نَصَحْتُ لَهُ نَصِيحَتِي نُصُوحًا أَيْ أَخْلَصْتُ وَصَدَقْتُ وَالْأَسْمُ النَّصِيحَةُ...، وَفِي الْحَدِيثِ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِأُئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ، وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ يَعْبَرُهَا عَنْ جُمْلَةٍ هِيَ إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، وَأَصْلُ النَّصِيحِ الْخُلُوصُ، وَمَعْنَى النَّصِيحَةِ لِلَّهِ: صِحَّةُ الْإِعْتِقَادِ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ، وَإِخْلَاصُ النِّيَّةِ فِي عِبَادَتِهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ: هُوَ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ وَنَصِيحَةُ رَسُولِهِ: التَّصَدِيقُ بِنُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ وَالْإِنْقِيَادُ بِمَا أَمَرَ بِهِ، وَنَهَى عَنْهُ، وَنَصِيحَةُ عَامَةِ الْمُسْلِمِينَ: وَإِرْشَادُهُمْ إِلَى الْمَصَالِحِ، وَفِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ نَظَرٌ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ نَصِيحَةُ الْأُئِمَّةِ أَنْ يَطِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ، وَلَا يَرَى الْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ إِذَا جَارَوْا...» (4).

كذلك يجب أن نشير إلى الفرق بين النصيحة النقدية وإبداء الآراء وتعدددها، فمن حق المنصوح ألا يأخذ برأي الناصح إذا لم يقتنع به، ويحتفظ برأيه هو لنفسه ويعمل به؛ لأنه يراه مناسباً لواقعه وظروفه وأحواله ونشأته وثقافته ومرجعياته، مادام في دائرة الحلال، ويشكر الناصح، وله ثوابه، وعلى الناصح هنا أن يُفرّق بين النصيحة حين تكون مُسْتَحَبَّةً، أو مفروضة، أي يُثاب بفعلها ويأثم بتركها، وهي التي تكون أساساً إذا فعل المنصوح حراماً مؤكداً معلوماً لا مجال للشك بعدم حرّمته، أي ضرراً ومفسدة قائمة فيه، فتكون حينها النصيحة فرضاً عليه، وحينئذ يأثم إذا لم يفعلها، إلّا إذا أجلّها لسبب ما حتى يأتي أنسب وقت للاستجابة لها ولتنفيذها؛ لتحقيق أعظم نتائجها...، ويُفرض على المنصوح وقتها العمل بالحق والخير فيها تدريجياً قدر استطاعته ليسعد وإلا أثم وتعمس.

أمّا إذا كانت النصيحة للتحسين والتنوير، فأدائها ليس بفرض، وإنما يُستحبُّ، أي يُثاب إذا فعل، ولا يأثم إذا لم يفعل، بل قد يأثم إذا أذّاها في وقت غير مناسب لها، أو بصورة غليظة، لما فيها من منفعة قد تدفع بالمنصوح إلى الرشد والهداية الشرعية والتوبة والاستغفار من الخطأ الذي وقع فيه، ومن هنا كان لزاماً شرعياً دون اعتراض من الناصح أو الناقد أن يلجأ إلى كلّ الأساليب والطرق الشرعية التي من شأنها الإصلاح الشرعي، فمثلاً تقدم نصيحة لشخص مسلم مر على طريق السيارات، دون أن يسلك ممر الراجلين، فإنّ الناصح هنا يتولى الأمر ولكن باللين من خلال التوجيه والدفع به إلى معرفة المخاطر التي يمكنها أن تنجر على عدم المشي فوق ممر الراجلين عليه أولاً وعلى السائقين للسيارات ثانياً، ثم يحاول تعميم الظواهر السلوكية الخطيرة التي قد يترتب عليها سلوكه المخالف للقواعد العامة لسلامة الأبدان من الضرر الذي قد يلحق بها في حالة وقوع حادث مرور ما نتيجة عدم احترام قواعد السير والسلامة.

ب- المجتمع الإسلامي والنصيحة:

تؤدي النصيحة دوراً هاماً في تحقيق الاستقرار النفسي والتواصل الاجتماعي داخل المجتمع الإسلامي لم فيها من حفظ للأنفس من كل المصائب والأزمات التي قد يقع فيها الشخص الذي لا يعمل بنصيحة أخيه المسلم الذي ما أراد مناصحته إلا من أجل خيره وسعادته وعدم شقائه في متاهات الدنيا، وما فيها من مشاكل تنغص على المسلم سعادته، فإذا عدنا إلى ديننا الحنيف الذي هو عصمة أمرنا وجدناه حافظاً للفرد سلامته، موجهاً له في سلوكات العيش التي يحياها داخل هذا المجتمع الذي تبني فيه العلاقات على أسس شرعية متوازنة بين حاجيات الروح والجسد، فالسلوكات والأخلاق جزء من الدين الإسلامي والعرف الاجتماعي، والرسول عليه الصلاة والسلام علمنا ذلك حينما قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" رواه البخاري، ولا مناص من العودة إلى السلف الصالح لناخذ العبر والتجارب منهم في

الحياة، و نتعلم منهم كيف كانوا يتعاملون فيما بينهم بالأخلاق والسلوكات الحميدة، وكيف كانوا ينتقدون سلوكياتهم وينصحون إخوانهم من المسلمين باللين والكلمة الطيبة.

وعليه تؤكد لنا كتب السيرة النبوية، والمؤلفات التي أنجزت حول حياة الصحابة، أهمية الحوار ودوره الفعال داخل حياة الأمم والمجتمعات من أجل تنظيم طرق الحياة السليمة خاصة، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان المعلم الأول للإنسانية لتتأخر وتتعايش مثلما أرادها الله وفق نظم وأطر وضوابط شرعية تسير هذا المجتمع كمنظومة متكاملة تشبه خلية النحل، والرسول عليه الصلاة والسلام ضرب بذلك مثلاً لجميع الأمم عن حياة المسلم الحقيقي الذي يريد وجهه الله وصلاح المجتمع ونبذ هلاكه مهما كان الثمن.

ومدرسة النبوة كانت لها مكانة عظيمة في نفوس الصحابة والتابعين الذي غلوا من ينابيعها تقاليد الحياة الشرعية التي تحترم فيها الأنفس قبل الأبدان، ولعل حجة الوداع التي بقيت علامة تاريخية على ذلك، والتي من خلالها أكد نبينا المصطفى أسس ودعائم المجتمع المسلم الذي ينبذ العنف ويؤكد على التناصح من خلال الحوار والتشاور بين المسلمين في شؤون الدين والدنيا، وهذا كله فيه نفع الفرد والمجتمع، إن النقد في الرؤية الإسلامية الشاملة رسالة تعليمية وتوجيهية وتربوية هامة من أجل تعديل سلوك الفرد المسلم وتقويمه بالكلمة الطيبة، والمساهمة في بناء الذوق السليم وتربيته لدى الناس، وتزويدهم بالغذاء الفكري والروحي، وإشراكهم في مكارم الأخلاق، وإدخالهم في عالم الأفكار الموجهة للخير في المجتمع، المومنة. مبدأ التناصح والتشاور وتقبل الانتقاد المحمود في سبيل تأدية المسلم وظيفته وفق طرق وآليات حضارية إيمانية، في زمن سيطرت فيه الفلسفات المادية، والسلوكات المشينة عن طريق العولمة.

فالنقد في الرؤية الإسلامية منهج حياة، وأسلوب ملتزم نابع من حياة الناقد المسلم وثقافته وتميزه الحضاري، وفطرته التي جبل عليها في مدرسة النبوة، والتي تقبل بروح النصيحة داخل الحياة من خلال التعديل والتوجيه بروية ولين مع الشخص المنصوح وفق أسس الشرع التي أمرنا بها الله ورسوله، والنقد ليس في حد ذاته انتقاص من المنقود، بل هو وسيلة يلجأ إليها لتقوم سلوكات الأشخاص خدمة للرسالة الإلهية.

إن النقد في حقيقته رسالة تعليمية، وضرورة حياتية في المجتمع الإسلامي، ومن ثم فالنصائح الحقيقية هو الذي يستطيع أن يقوم بواجبه، ويؤدي وظيفته حارساً لقيم المجتمع المسلم، وذلك بتمسكه بالمبادئ الأخلاقية التي نشأ عليها في كتاب الله وسنة رسوله، ومحاولة تقديمه للرؤى الإيمانية المقيمة للسلوك المعوج، ومنح الإنسان التوازن الروحي والمادي، والتصور الصحيح عن حقيقة وجوده ورسالته داخل المجتمع الإسلامي، كما نؤكد على أن كلمة انتقاد قد لا تتجاوز دلالتها عند البعض مجرد الكشف عن العيوب، وربما ظن هؤلاء أن ثقافتنا الإسلامية تجرم الانتقاد مادام يعني الكشف عن العيوب، وذريعة هؤلاء أن ديننا الحنيف يأمر بالستر ذلك أنه «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥) كما جاء في الأثر، ولكن مشكلة هؤلاء أن ثقافتنا الإسلامية بقدر ما حرصت على الستر فإنها قد أمرت بالنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف ويبقى الخلاف محتملاً بين فئتين بخصوص ما يستر، وما لا يستر، فشتان بين عيب فوق الطاقة والوسع يستوجب الستر، وبين منكر متعمد عن سبق إصرار، فلو كان المنكر وهو الشر الذي ينكره الناس مما يجب التستر عليه لما كانت في الإسلام فريضة النهي عن المنكر، التي هي في حد ذاتها أمر بالمعروف لأن المعروف والمنكر ضدان يلغي أحدهما الآخر، وعندما تنبئ بعض الأعلام الشريفة من المسلمين للكشف عن المنكرات في كل ميادين الحياة في حقيقة الأمر هي تمارس فريضة النهي عن المنكر التي غاب استعمالها بين قلوب المسلمين، وقد عجزت لبعضهم كلما هم قلم بانتقاد سلوك غير سوي إلا وعبروا عن امتعاضهم منه، ووسموا صاحبه بأقبح النعوت، وربما تركوا انتقاده للبوائق جانباً، وهما بتجريحه للتمويه على تلك البوائق ليس غير.

فالمنتقد لظاهرة الغش مثلا في المجتمع ممارس لفريضة النهي على المنكر في عقيدة شعارها "من غشنا فليس منا" فليس السكوت عن ظاهرة الغش في كل قطاعات الحياة مما يمكن اعتباره داخلا في إطار الستر، ذلك أن الستر على الغشاش خيانة للأمة لا تجيزها عقيدة الإسلام، والنهي عن المنكر لا يتأتى إلا بانتقاده بمعنى الكشف عنه ليصير معلوما عند الناس فيتجنب ، ولا يؤتى إليه، أما السكوت عنه بذريعة الستر على أصحابه ، فهو إقرار بالمنكر وتشجيع عليه، والكتابة الفاضحة للمنكر درجة من درجات النهي عن المنكر التي أقرتها عقيدتنا كما جاء في الأثر عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"⁽⁶⁾ رواه الإمام مسلم.

وترك فريضة النهي عن المنكر يستوجب عقاب الله العادل، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لَتَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ سُلْطَنُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، ثُمَّ يَدْعُونَ خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ»⁽⁷⁾ رواه الحارث بن أبي أسامة موقوفا بسند فيه راو، ولا يمكن أن تبرا ذمة أحد إلا إذا كره المنكر وخالفه، وإلا بتسليط غضب الله تعالى على تلك الفئة من المسلمين، بتحريض شرار الناس عليهم، فيلجأون حينها إلى المصلحين والناصحين من أجل إعادة الأمور إلى نصابها، فلا يستجاب لهم فتحلّ عليهم حينها اللعنة والغضب من الله تعالى ولا يجدون من ينصرهم من المسلمين أحدا، ويصبحوا بذلك نادمين على ما فعلوا.

وعليه لا مبرر شرعي لأحد ممن يحاول التستر على الاختلال الشرعي في السلوكات والمعاملات بين المسلمين من أجل مصلحة خاصة قمه على حساب المصلحة العامة التي لا يعيرها اهتماما، ودرجة إنكار المنكر تكون حسب درجة المسؤولية إذ لا بد أن يكون المسؤول أول منكر للمنكر قبل غيره، أما ألا يرضى المسؤول من غيره من ينكر منكرا كان عليه أن يكون أول منكر له خوفا على سمعته فهذه طامة كبرى ، وبلية ابتليت بها أمتنا، ولا بد لأمة تحق الحق وتبطل الباطل أن تضرب بمحيد على يد من ينكر المنكر عوض أن تجرحه وتجرحه ، وتصرف النظر عن المنكر لتشتغل بمجره ولمزه من ينكره مما لا يجوز شرعا، وعندما نصل درجة إنكار المنكر سيكون لنا شأن عظيم بين الأمم أما إذا سترنا المنكر فسنصير نحن عين المنكر.

هذا التحديد — قبل النصيحة أو النقد — مهم جداً في عملية النقد والنصيحة، لاجتناب التعميم في النقد والنصيحة، وحتى لا يُنقد ما لا يستحق ولا يستوجب النقد والنصيحة، وحتى لا تضيع الطاقات، وتهدر الأوقات من غير طائل، ولكي يأتي العلاج في موضعه الصحيح؛ إذ دقة تشخيص الدواء من دقة تشخيص الداء وتحديدته، وحتى لا تصدر الأحكام بغير موجب شرعي وعلى من لا يستحقها، فلا يُضلل ولا يُفسد من كان خلافه يمكن أن يُدرج في خانة الاجتهاد المستساغ؛ الذي يكون للمصيب فيه أجران، والمخطئ فيه أجر واحد.

عندما يُجرّم المخالف وجميع أعماله لمخالفة شرعية وقع فيها، فإنه لا يستفيد من النقد والنصيحة مطلقا، وقد لا يُحسن التمييز بين ما يعنيه، وما لا يعنيه، لأن النصيحة استهدفت كل فكره دون تحديد بمنهج ألبس فيه بين الحق والباطل، فلم يعرف المراد على وجه التحديد من وراء هذا النقد، والنصح وبالتالي من حقه أن يعترض على الناصح أو الناقد جملة وتفصيلا، وأن يقول له: حدد الشيء الذي تريد نقده بالضبط، ولا تُعمم السلوكات لكي أستفيد من نصحك ونقدك.

إن عملية البحث عن تجديد المنهج لتوجيه النصيحة بات ضرورة ملحة، ليست لعدم كفاية الخطاب التفسيري فحسب، بل لفتح آفاق جديدة أمام الفقهاء والمرشدين الشرعيين، وتفجير إمكانات الناصح من العلماء، من خلال الاستعانة بالنص القرآني والحديث النبوي في تبليغ النصيحة وتوجيهها وفق الشرع حتى لا تكون اعتباطية، كما يجب أن

نلاحظ حالياً في معظم البلدان الإسلامية أنه يوجد اختلال توازن فضيع بين المسلمين في فهمهم للنصيحة وآليات تطبيقها والوسائل المساعدة على ذلك، فالكل نجده نصب نفسه مرجعاً وعالمًا دون العودة للشرع، وهذا فيه ضرر جسيم بالمسلمين لغياب دور الفقهاء والأئمة في المساجد من توجيه ونصح، وأخذ زمام المبادرة الشرعية دون غيرهم حتى لاتسود الفوضى الشرعية.

والتابع لحياة المجتمعات العربية المسلمة يجد فيها من أصناف الناصحين المدعين قد أفسدوا على المسلمين حياتهم بغياب دور العلماء، وعدم وجود جمعيات شرعية تقوم بهذا العمل لما فيه من صلاح شرعي أو فساد قهري، يمس كل شرائح المجتمع، وعليه كان لابد على المملكة العربية السعودية بصفتها تمثل المركزية الشرعية للأمم الإسلامية، من أخذ مبادرة إقامة دورات تدريبية للناصحين في كل الدول العربية المسلمة، حتى لا تضيق الحقوق والواجبات الشرعية.

جـ- أهمية النصيحة والتناصح في المجتمع المسلم:

بات المسلم الآن مطالباً بالنصيحة أينما حلّ ونزل، لما فيها من خير ومنافع له ولغيره من عامة المسلمين، فإن هو نصح واستنصح الناس في باب من أبواب الدين أو الدنيا وجد من يأخذ بيده إلى طريق الرشاد، خاصة إن طلبها من أهلها وليس من المتعلقين الذين يدعون النصيحة، ولا يعملون بها، كما أن المجتمع المسلم الذي تكثر فيه النصيحة دليل على صحة نفسيته، وعلو أخلاقه، وحسه بالمسؤولية الشرعية الملقاة على عاتقه، لما ينجر عنها من نتائج تكون في صالح الفرد أو المجتمع أو العكس صحيح، وعليه وجبت النصيحة وطلبها والعمل بها، والمشرع قد وضع قواعد ذهبية ليبين لنا أهمية العمل بالنصيحة والدور الشرعي الذي وضعت له.

* - القاعدة الأولى: العمل بالنصيحة واجب شرعي:

لا مناص للمسلم من تقديم النصيحة بداية بنفسه وأهل بيته وأقاربه وأصحابه وعامة المسلمين تدريجياً نحو الناس أجمعين، وهذا وفق الشروط والضوابط الشرعية حتى لا يخرج مشاعر المسلمين أو نخرجهم في سلوكياتهم خاصة إذا كانت تتنافى مع الآداب العامة التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم، والتجارب التي يعيشها المسلمون الآن تؤكد الحاجة الماسة للنصيحة الشرعية التي غابت من القلوب والأنفس وماتت عن هذا الغياب أو التغييب من أضرار نفسية وخلقية جعلت المسلم يعيش حياة ضيقة لا يعرف كيف ينصح أو ينقد أو يتقبل نصح غيره، خاصة في عصرنا الحالي فلنلاحظ قوله تعالى في سورة العصر: «وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ»⁽⁸⁾؛ فهؤلاء المؤمنون الذين من صفاتهم أنهم يتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر ويقدمون النصح لغيرهم مهما كان الثمن فهم لا يخشون في الله لومة لائم .

وفي الحديث النبوي الشريف، فقد صحَّ تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، ثَلَاثًا، قَالْنَا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيُّمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»⁽⁹⁾، وعبارة "إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ" من صيغ العموم؛ أي إن الدين كله النصيحة، فالنصيحة الدين، والدين النصيحة، ولا يُقبل من امرئ دين بلا نصيحة، ومن حق المسلم على أخيه المسلم النصح والإرشاد، أي توجيه سلوكياته في عمل الخير فيعينه ويدله عليه ويمنع عنه السوء والشر، ومن ذلك تبصيره بسبل ودروب المحرمين، حتى لا يردّها ويحذرّها، ويكون ذلك في حضرته وغيبته سواء، كما يجب عليه أن لا يدعه يرد موارد الهلكة والظلم والضياع، بل يأخذ بيده في كل حين، فينصحه ويمنع من السوء، ويمنع السوء عنه ما استطاع، فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»⁽¹⁰⁾، وأن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه، هو من النصيحة، بل هو من أعظم ما يدخل في النصيحة ومعانيها، والمسلمون كلهم واحد في السراء والضراء، في الشدة والرخاء .

وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «من شرَّ الناسِ ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاً بوجهٍ وهؤلاً بوجهٍ»⁽¹¹⁾، وهذا الأمر حاصل عند بعض المتناصحين عادة كأن يضمر الشدة مع عامة المسلمين، واللين مع خاصتهم، وهذا كله يعدّ تدليسا للنصيحة والعمل في مجالها، فالغاية الشرعية من نصيح الناصح هي مرضاة الله تعالى فقط دون تشهير أو تحقير، والقيام بما أمر وأوجب نحو الشخص المنصوح، دون القصد من وراء ذلك رياء، ولا استعلاء، ولا عرضاً من أعراض الدنيا، فيهتدي إلى عيوبه مباشرة دون مقدمات أو شرح قد يكسب النصيحة التحوير والتفسير الذي لم تحتمله أصلاً، وإلى ما يستدعي الإصلاح والتصحيح في السلوك لا الشخص، كذلك المؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن، فكل منهما مرآة لأخيه وكل منهما يرى نفسه في أخيه، ويدل أخاه إلى جوانب النقص والخلل فيه وما يستدعي إصلاحه واستدراكه، إن وجد ما يستدعي الإصلاح والاستدراك، كما في الأثر عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن مرآة المؤمن؛ والمؤمن أخو المؤمن يكفّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه»⁽¹²⁾، فالكل مُطالب بأن ينصح ويصدق بما يعلم من حق، وأن لا يصدنه عن القيام بهذا الواجب الخوف أو الرهبة من المخلوق؛ فإن ذلك يعدّ جناً وتقاعساً عن إقامة الشرع بالنصح، ومحاولة الدفاع عن مصالح المسلمين بكل الوسائل الكفيلة بدرء المفاسد، والمهالك.

* - القاعدة الثانية: ترسيخ النقد والنصح في قلوب المسلمين:

قد يترتب على عدم ترسيخ النقد والنصح بين عامة المسلمين وخاصتهم الوقوع في الظلم والانحراف الأخلاقي البعيد عن المنهج السليم من خلال التمادي في الخطأ إلى أن يتضخّم ويُصبح عرفاً واقعاً مرأً لا فكاك منه، وكأنه من الصفات المحمودة التي استأنس إليها المجتمع ولم يعمقها أصلاً، وتصبح بذلك السلوكات المنافية للشرع مقبولة وجائز فعلها والاتصاف بها، والسلوكات المحمودة كأنها غريبة عنا تماماً وعليه تنقلب الموازين الشرعية ويصبح الحلال حراماً والحرام حلالاً والعباد بالله، وهذا عين المفسدة التي قد تلحق بالمسلمين في دنياهم وهذا من لوازمه هلاك البلاد والعباد، والخسران في الدنيا والآخرة، وغرق المجتمعات الإنسانية في مستنقع آث من الأمراض الفتاكة المعنوية منها والمادية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدْمَرْنَهَا تَدْمِيرًا﴾⁽¹³⁾ الإسراء: ١٦، أي حق عيها التدمير والهلاك لما فيها من المفساد الروحية والمعنوية والخلقية التي جعلت العقوبة تقع فيها، وهذا كله لعدم تقبل النصيحة والعودة إلى السلوكات القويمة التي فيها الصلاح والخير، كما نجد أيضاً أن الله تعالى في آية أخرى يؤكد لنا أنه قادر على خلق أقوام آخرين يخلفون الذين ظلموا ويحلون محلهم بعبادته وطاعته والعمل بأوامره ونواهيه إذ يقول: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾⁽¹⁴⁾ الأنبياء: ١١، وكما قال أيضاً: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾⁽¹⁵⁾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾⁽¹⁶⁾ المائدة: ٧٨ - ٧٩، فالهلاك والدمار واللعن يتزل على العباد في حال غياب النصيح والناصحين، والإصلاح والمصلحين وعندما تكون الكلمة والغلبة للمفسدين المجرمين.

فإن ترك القائمون على حدود الله؛ وهم المصلحون الناصحون، الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر، المهمة المنوطة بهم؛ وهي النصيح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتركوا المفسدين المخربين يعيشون فساداً في المجتمعات ويثبوا سمومهم وخراجم تحت أي مصلحة كانت، فحينئذ يهلك الجميع من أبناء الأمة الصالحون، والطالحون، على السواء، وإن أخذوا على أيديهم بالزجر والمنع والإنكار، نجوا جميعاً، ومن معهم من المسلمين، وفي الحديث النبوي

الشریف نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من العمل بالمعاصي في المجتمع المسلم وعدم قيام الناصحين بدورهم في النقد والنصح والتصحيح للسلوكات من المفاصد التي طرأت عليها إلا عمهم الله بعقابه وعذابه إذ يقول النبي عليه الصلاة والسلام: « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، هم أعز وأكثر ممن يعمل، ثم لم يغيروه إلا عمهم الله تعالى منه بعقاب⁽¹⁶⁾، وعلى المسلمين الأخيار الناصحين منهم مسؤولية التغير والتعديل وإصلاح الاعوجاج الذي قد يلحق بأفراد الأمة، حتى لا تشيع الفاحشة ويصاب الكلّ بداء المعصية دون وازع ديني أو ناقد شرعي يبعث في النفوس رياح التغير وإعادة سفينة الحياة إلى مجراها الذي أمر الله ورسوله أن تسلكه لما فيه من نجاة وخير للمسلمين جميعاً، ولولا دفع الله للناس لعمت المنكرات والمعاصي، كما حدث في الأقوام السابقة من عقاب الله العادل فيهم لأنهم أتبعوا أهواءهم وحلت فيهم لعنة الله وأنبيأوه.

* - القاعدة الثالثة: النقد المهادف الذي يُحدد موضع الداء ويُشخصه

هو الخطوة الأولى والأساس السليم نحو العلاج، والبرءة من أمراض النفس، وتصحيح مسارها نحو مكارم الأخلاق وتغيير توجهاتها للخير والصالح؛ إذ لا يمكن تشخيص الدواء والشروع المباشر في تناوله من أجل التغير إلى الأفضل والأحسن من دون تحديد وتشخيص الداء، وعلى قدر ما يكون تشخيص الداء دقيقاً يكون تشخيص الدواء دقيقاً ومحكماً، وتُرجى ثماره ونتائجه وهذا لا يمكن أن يتحقق شيء منه إلا بوجود "النصيحة والناصح والمنصوح" من خلال فتح الباب على مصراعيه للنقد الجريء الصادق بين المسلمين في كلّ الأماكن دون ضرر أو ضرار في الساحات العمومية، ودور العلم والعبادة وأماكن العمل، وداخل الأسواق من خلال إنشاء جمعيات شرعية تضبط النصيحة وحدودها ودور الناصح فيها وأهمية النصيحة، وهذا كله عمل تطوعي لوجه الله الكريم، وحماية المجتمع من المفاصد والشُرور التي يمكن أن يقع فيها المسلم من خلال وضع يده على الجرح ومصدر الألم ومحاولة علاجه وشفائه، لذلك قال رسولنا الكريم داووا مرضاكم بالقرآن.

ونحن في المجتمعات العربية المسلمة مطالبون اليوم أكثر من ذي قبل بالنصيحة شئنا أم أبينا والحقيقة التي نأسف عليها أنك عندما تقدم النصيحة للمسلم لا يتقبل ذلك منك، وكأنك سببته أو شتمته أو أنقصت من قيمته وقدره، ودينه، ويعد ذلك تطاولاً منك على ذاته وتدخلًا سافرًا في خصوصياته، وحدوده التي رسمها لنفسه، وكأنه يعيش وحيداً غريباً في مجتمع لا يقبل النقد والناقد في ملام وآثم، وهذا مانلاحظه في كلّ زمان ومكان، كما أن هناك من الأقوام ينشدون النصيحة لغيرهم، ويرفضونه لأنفسهم وتضيق صدورهم نحو الناصحين الغيورين من أبناء الأمة، ونحو أي نصيحة أو نقد يوجه إليها من ناصح غيور، منشداً للإصلاح والتغير نحو الأفضل، فأين نحن من الرعين الأول الذي أقام مجتمعا سليما خاليا من العيوب والنقائص كانت فيه النصيحة مطلوبة ويعمل بها الصغير والكبير والنساء والرجال، كل ذلك طلباً في رضى الله ورسوله الكريم عملاً بالقرآن الكريم وشرعته.

2- آداب وضوابط التناصح والنقد بين المسلمين:

إن الحياة داخل المجتمع الإسلامي قائمة على "مبدأ التشاور والتحاور" بين مختلف فئات المجتمع لما فيه من أهمية عظيمة للفرد والمجتمع الذي يبحث عن مكارم الأخلاق والسلوكات التي حثّ عليها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في أكثر من مجلس وخطبة وموعظة للمسلمين، وهذا كله فيه منافع للناس وصالح حياتهم، وعليه كان لابد من وجود النصيحة لما فيها من توجيه روحي وأثر نفسي على الفرد المسلم، وتمكينها من التغلغل في قلب المنصوح قلباً وقالباً، والشخص الناصح في المجتمع يجب عليه أن تكون لديه القدرة على إقناع المنصوح بضرورة الأخذ بالنصيحة مهما كان الشخص الذي قدمها له من أجل الحفاظ على توافق السلوكات الشرعية بين عامة المسلمين.

وعليه نجد أن الإسلام قد ضبط للنصيحة شروطاً حددها المشرع، وصنفها خشية الوقوع في الخلل والزلل الذي يمكن أن يقع فيه الناصح أو المتلقي للنصيحة، والمسلم حينما يقدم نصيحة لغيره من عامة المسلمين يشترط فيه توفر جملة من الشروط حتى يعتلي مرتبة الناصح أو الناقد أو المرشد السلوكي داخل المجتمع، كما أن مسألة تقديم النصيحة، يجب أن تسبقها عملية إعداد الفرد المسلم لتقبل النصيحة والعمل بها في الحياة، حتى لا تحدث المفسدة أو الفوضى الخلقية، كما أن المجتمع الإسلامي اليوم يكشف لنا العديد من التجاوزات الشرعية التي تقع كل يوم، ويتسبب فيها المسلمون أنفسهم من خلال عدم قابليتهم للنصيحة، أو تقبلها على مضض منهم دون العمل بها مما يخلق المهالك والمضار التي تؤثر سلباً على الحياة بين المسلمين.

1-2. طبيعة النصيحة والنقد:

في الحقيقة نجد أن كل المسلمين يجيئون المدح والإطراء المختلف من مختلف فئات الرجال أو النساء، فهم يكرهون النقد وكل أشكال النصيحة ويحاولون المراوغة في ظاهرها أو تقبلها فيما بينهم، والمشكلة التي يمكن أن يقع فيها الشخص الناصح في الحقيقة تكمن في الأسلوب والطريقة المنهجية في تقديمها وعرضها على الشخص مما يترك انطباعاً لديه أنه يسبه أو ينقص من شأنه، ولك أن تجيب عن السؤال الذي يجب أن يطرح في كل حين عند أصحاب القلوب الحية كيف أنصح المسلمين إذن؟ وهل أستطيع أن أقنعهم بوجهة نظري وبفكرتي في المغايرة لمنهج تفكيرهم الذي جبلوا عليه؟ وما هي أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟.

هذا، وتجدر الإشارة إلى أن هناك فرقاً واضحاً بين النصيحة والنقد، فلقد تعارف كثير من الناس على أن النقد في الغالب هو لإظهار العيب لا أكثر، إما لإصلاحه، أو قد يكون الفضح والتشهير بصاحبه فقط، على حسب النوايا، لكن النصيحة في الإسلام، أي النقد الإسلامي، يعني التقييم العادل البناء، أي إظهار الإيجابيات والسلبيات، كما كان يفعل - صلى الله عليه وسلم -؛ حيث كان يقول في كثير من المواضع: "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا.." ثم لا يشهر بهم احتراماً منه لمشاعرهم ونفسياتهم من الضرر النفسي، فهذا ما روي عن الرسول الكريم، وعن صفاته التي نقلها السلف الصالح وتعاملوا بها في حياتهم حفظاً للدين والنفس من المهالك، وضياًع الحقوق التي حرمها الله ورسوله، وأما عن صورة المسلم الذي يريد إشاعة السوء والمعاصي بين المسلمين، ومحبة إيذاء أخيه المؤمن وإدخال الضرر عليه، فهذا لا يمكن أن نعهده ناصحاً أو ناقداً لأن هذه من صفات الشيطان الذي يزني بين آدم الكفر والفسوق والعصيان ليصيروا بذلك من أهل النيران كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦) فاطر: ٦ (١٧)، فشتان بين من قصده النصيحة وبين من قصده الفضيحة ولا تلبس إحداهما بالأخرى إلا على من ليس من ذوي العقول الراجحة.

ومن أراد من المسلمين وزعم إظهار السوء وإشاعته في قالب النصيحة، وبرر ذلك ببراء المفسدة التي توشك أن تقع إما على وجه العموم أو الخصوص، وكان في الباطن غرضه التحقير والأذى فهو من إخوان المنافقين الذين ذمهم الله في كتابه في مواضع عدة، فإن الله تعالى ذم من أظهر فعلاً أو قولاً حسناً وأراد به التوصل إلى غرض فاسد يقصده في الباطن، وعد ذلك من خصال النفاق كما في سورة "التوبة" التي كشف فيها المنافقين وفضحهم بأوصافهم الخبيثة حيث قال في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أُرْدْنَا إِلَى الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٠٧) التوبة: ١٠٧ (١٨).

ونسوق المثال الآتي من الواقع كأن يريد ناصح مدع مثلاً ذمّ رجل والطعن في خلقه وسلوكه وإظهار عيبه لينفر الناس عنه إما محبة لإيذائه أو لعداوته أو مخافة من مزاحمته على مال أو رئاسة أو غير ذلك من الأسباب الدنيوية المذمومة، فلا يتوصل إلى ذلك إلا بإظهار الطعن فيه بسبب ديني مثل: أن يكون قد ردّ قولاً ضعيفاً من أقوال عالم مشهور فيشيع بين من يعظم ذلك العالم أن فلاناً يُغضُّ هذا العالم ويذمه ويطن في شخصه أو علمه، فتنتشر العداوة والبغضاء بين المسلمين التي قد تزيد من تفريق المسلمين، وإشعال نار الفتنة الدنيوية، فيصبح الناس بذلك مهمومين، ومنشغلين بالمشاكل والمفاسد التي أوقعهم فيها ذلك الناصح الخبيث الذي ألحق ضرراً كبيراً بالمسلمين ونقص عليهم سبل الحياة، من خلال تلك السلوكات الحاقدة التي تعتمد نصحتها وتقديمها للمسلمين كأنها نصح وتحذير من ذلك الشخص والذي وفي حقيقته شخص مظلوم شرعاً.

2-2. آداب النصيحة والنقد في الإسلام:

في الحقيقة للمسلم آداب وضوابط شرعية عليه أن يتأدب بها مع غيره من المسلمين أثناء طرقه باب النصيحة، لما فيها من أبعاد ومنطلقات قد تؤثر على مسار الحياة بين المسلم الفرد ومجتمعه الذي ينتمي له، بالسلب أو الإيجاب، والسبب يكمن عندما يكون المجتمع غير مهتم أصلاً بالناصح والتعامل معه بالأساليب الخلقية المناسبة، ولكي يتفادى المسلمون الوقوع في الحرج بينهم أثناء التناصح والنقد الرشيد وضع علماء الشريعة ضوابط وأسس يقوم عليها مبدأ التناصح دون ضرر أو ضرار، وهذا كله لضمان سعادة المجتمع المسلم، وبناء حياة شرعية قائمة على روح المحبة والتسامح والتشاور والنصح في كل مناحي الحياة لأن النصيحة وطالبها تعدّ منجية له من عواقب الأمور في الدنيا والآخرة، وعلى المسلم المنصوح تقبل النصيحة حتى ولو كان الأمر في صفات الأمور.

وهذه الآداب الشرعية لا يمكنها أن تقوم داخل المجتمع إلا بتضافر جهود خاصة بين الوزارات المختصة في باب النصيحة، والتي لها صفة الشرعية كمؤسسات شرعية تقوم بدور عن المنكر في المملكة العربية السعودية، والتي تؤدي دوراً بارزاً في تحقيق مبدأ التشاور ودرء المفاسد باللين والكلمة الطيبة، كما أن مسألة إقامة الندوات الشرعية والمؤتمرات العلمية في دور العلم والمعاهد الشرعية يساهم في فتح باب النصيحة، ومحاولة تعميمها بين المسلمين كوازع ديني ثقافي يترى عليه الكبير والصغير في حدود الشرع ومرضاة الله سبحانه وتعالى، ومحاولة تعميم النصيحة وضرورية العمل بها كمنهج حياة للمسلم الباحث عن صلاح بمجتمعه من خلال الدعوة إلى السلوكات الحميدة، والتي أمرنا بها الله ورسوله الكريم، وهذه الأمور لا يمكنها أن تتحقق إلا بوجود آداب وأخلاق عالية يجب أن يتحلى بها الناصح.

أ- صفات الناصح وآدابه:

لقد وضع الشرع ضوابط وأحكام سلوكية في حياة المسلمين ولم تكن الحياة تسير بعشية، بل بتوجيهات إلهية حددها الرسول عليه الصلاة والسلام في آداب المنظومة الاجتماعية للمسلمين عامة، ومع ذلك أثناء القيام بالتناصح لابدّ من وجود صفات تتوفر في الناصح وآداب يسير عليها حتى يصبح لعمله دوراً نافذاً للأنفس المريضة من أجل شفائها من الشقاء الذي وقعت فيه.

1- صفات الناصح:

* أن يعتمد الاختصار والإيجاز في النصح والدقة وعدم الإطالة، مع البلاغة، والبعد عن التصنع والتكلف فخير الكلام ما قلّ ودلّ.

* أن يذكر المحاسن التي عرف بها المنصوح، وأن يشير إلى مكانته الشرعية داخل المجتمع المسلم، كمقدمة للدخول إلى قلبه.

* أن يحرص على سرية القضية المنصوح فيها، وكنمان أمرها، إذا كان الأمر فيه ضرر، وإزعاج للشخص المنصوح، ويؤذيه.

*- أن يكون الناصح حذرا في تقديم النصيحة حتى لا يقع في نصح السفیه، كما يجب أن يكون أسوة حسنة للمنصوح في تطبيق تعالیم الدین الشرعیة والأخلاقیة، حتی یعتبره المنصوح قدوته الشرعیة، وهذا لقول أبی الأسود الدؤلی:

« فَأَتْرُكُ مُحَاوَرَةَ السَّفِيهِ فَإِنَّهَا *** نَذَمُ وَغِبُّ بَعْدَ ذَلِكَ وَخِيَمُ
وَإِذَا جَرِيتَ مَعَ السَّفِيهِ كَمَا جَرَى *** فَكَلَامَا فِي جَرِيهِ مَذْمُومُ
وَإِذَا عَتَبْتَ عَلَى السَّفِيهِ وَلَثَمَهُ *** فِي مِثْلِ مَا يَأْتِي فَأَنْتَ ظَلُومُ
لَأَنْتَهُ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلُهُ *** غَارَ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَئَهَا عَنْ غِيَّهَا *** فَإِذَا انْتَهَيْتَ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيَقْتَدِي *** بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّغْلِيمُ » (19)

*- أن يدعم نصحه بمواقف معاشة من الواقع الحياتي من خلال التمثيل بصور الحياة والاستشهاد بالآيات الشرعية وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن سير السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم.

*- أن يكون كتاب الله وسنة نبيه حجته في طريق نصحه، من أجل ولوج قلب المسلم وإصلاح نفسه وقلبه قبل عقله وجسمه.

*- أن يكون صبورا إذا لاحظ عدم حدوث استجابة وتغير في موقف الشخص المنصوح.

*- أن يتعاهد الناصح نفسه بالمراقبة والنصح، فلا يزكي نفسه على الله، ولا ينسى حفظها من المراقبة والنقد والنصح والمساءلة المتواصلة، ففي ذلك النجاة والسلامة لنفسه؛ إذ لنفسه عليه حق، كما أن للآخرين عليه حق، وهو ادعى للتواضع، وأن لا يتفاخر على المنصوحين، لأنه سوف يقع في الخطأ مثلما وقع فيه غيره فالإنسان ليس معصوما من الذنب، فقط عليه بتربية نفسه على تقبل الأمر الواقع، كما ينصح عليه تقبل نصح غيره من المسلمين من باب أول.

2- آداب الناصح/ الناقد:

المسلم وسط يئته إذا أراد المساهمة في عملية النصح والنقد داخل أسرته وأقاربه وجيرانه، عليه أن يكون متادبا ومتخلقا في جلب المنفعة والدفع بالمفسدة، وهذا كله باللين والتحيب والترغيب لهم في الأخذ بالنصيحة منه -ومن غيره من جموع المسلمين، وهذا لا يتحقق إلا بوجود آداب عليها أن تتجسد في النفس والقلب معا، حتى يكون لها منفذ شرعي للمنصوحين عموما.

*- الإخلاص الشرعي لله وللرسول: فلا ينبغي الناصح من نصحه إظهار رجاحة عقله أو فضح المنصوح والتشهير به، وإنما يكون غرضه من النصح الإصلاح وابتغاء مرضاة الله تعالى، وعجبة رسوله لأكثر ولا أقل، كما لا يجوز شرعا أن يكون الغرض من النصيحة والنقد الشتمة في المنصوح والفرح بأنك ظفرت له بعب لأن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم، ولا يجوز للمسلم أن يشمت في أخيه المسلم بل أن يحب له ما يحب لنفسه.

*- الحكمة والموعظة الحسنة واللين: فالكلمة الطيبة صدقة، وهي مفتاح القلوب قال تعالى: « قَالَ تَعَالَى: ﴿لِي أَدْعِيَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ١٢٥ (النحل: 20)، فلا يجوز للمسلم تقديم نصائحه بالقوة أو تحت طائل التهديد والوعيد، فالمسلم من سلم الناس من يده ولسانه، كما أن الرفق لا يلغي اللجوء إلى الشدة مطلقاً، وبخاصة عند حصول المخالفات التي لها مساس بالعقيدة والتوحيد والأصول الكلية المتفق عليها، فمن كانت مخالفته ومشاققته من هذا النوع من المخالفات الشرعية، فلا يمكن أن يتعامل معه الناقد والناصح من حيث درجة الرفق أو الشدة والغلظة، مثل من تكون مخالفته في الفروع أو فيما يدخل في باب الاجتهاد المستساغ فهما لا يستويان في المعاملة التي يستحقها كل منهما إذ لكل منهما نصيب من الرفق أو الشدة حسب طبيعة المخالفة وبالتالي تتأسس عليها النصيحة المستحقة شرعاً، دون مبالغة أو انتقاص .

وعلى الناقد الحذر الشديد أثناء النصيحة، فلئن يُخطئ في الرفق مائة مرة خير له من أن يجنح إلى الشدة، فيُخطئ فيها مرة واحدة، فالخطأ في الرفق خطأ واحد، بينما الخطأ في الشدة خطأان: خطأ بحق الله تعالى؛ بحيث أنه لم يُصب في المخالف حكم الله، وخطأ بحق العبد؛ حيث أنه سلبه بعض حقوقه التي يستحقها شرعاً، وهذا يعدّ خللاً جسيماً وقع فيه الناصح لا يجبر إصلاحه.

* - عدم كتمان النصيحة: المسلم يعلم أن النصيحة هي أحد الحقوق التي يجب أن يؤديها لإخوانه المسلمين، فالمسلم مرآة أخيه، يقدم له النصيحة، ويخبره بعيوبه، ولا يكتُم عنه ذلك قال صلى الله عليه وسلم «حقُّ المسلم على المسلم ست: إذا لقيتهُ فسلم عليه، وإذا دعاكَ فأجبه، وإذا استنصَحَكَ فانصَحْ له، وإذا عطسَ فحمدَ الله فشمته، وإذا مَرَضَ فعده، وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ»⁽²¹⁾، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينصح أحد الحاضرين يقول ما بال قوم يفعلون كذا، ما بال أحدكم يفعل كذا، على وجه العموم لا الخصوص خشية التحريج للمنصوح.

* - عليك انتقاد السلوك والتصرف، لا انتقاد الشخص نفسه: فلا تقل أنت مخطئ ولكن قل السلوك أو التصرف الفلاني ليس صواباً، ولا تعمم الخطأ حتى لا تحطم الشخص وتقول أنت دائماً تفعل كذا وكذا ولكن امتدح و قل لقد تطورت في الأمر الفلاني مثلاً.

* - التخير في الكلام المستخدم في النقد/ النصيحة: اختر كلماتك بدقة عند تقديم النصيحة، فأنت تنقد، وهذا وحده كاف كي تؤدي الآخرين، لا تستخدم الكلمات الحادة، كن لطيف في نقدك، عليك احترام حدودهم فلكل منا حدود، فلا يتعدى أحداً حدوده، ولا حدود غيره أيضاً، والله حدود فلا يتعداها أحد. * - أن تكون النصيحة سراً: إلا إذا كان المنصوح مجاهرًا بالفسق أو البدعة يدعو الناس إليه أو يقتدي به الناس في بدعته أو فسقه، فيمكن أن ينصح علناً من باب تحذير المسلمين، قال بعض السلف: من نصح أخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن نصحه علانية فقد فضحه وشانه، وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

«تَعَمَّدَنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي *** وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ
فَإِنَّ النَّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ *** مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ
وإنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي *** فَلَا تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَةٌ»⁽²²⁾

وذلك للستر الذي يُعين دوماً على التصويب، بينما الفضح يُضعف غالباً الحياء الفطري، وقد يؤدي إلى مزيد من السلبات؛ حيث قد ضُعف الحاجز الذي يمنع من الخطأ.

* - إبدأ بالنقد الإيجابي قبل السلبي: كأن تقول للمنصوح مثلاً أنت شخصية متميزة ولسنا معتادين منك على هذه الهفوات، أو أنت دائماً موفق في أمورك ما الذي حدث لك هذه المرة؟ أو أنك شخص خير وخلق ولكن التصرف الفلاني ليس من أخلاقك وتفاجأت به كثيراً...، وغيرها من العبارات التي تكون منتقاة بدقة دون حرج أوضح، وعليك البدء دائماً بالافتراضات الإيجابية افترض الإيجابية وأحسن الظن بأخيك المسلم وتوسم فيه الخير، عليك " أن تعلم كيف تنصح ولا تفضح وكيف توضح ولا تجرح" وقد ذكر الإمام الشافعي دور الناصح وعمله بالنصيحة كمنهج يقتدي به المنصوح لا أن ينصح غيره وهو واقع في المعاصي، فهذا مما لا يقبله الناصح من المنصوح أبداً.

«يَاوَاعِظُ النَّاسِ عَمَّا أَنْتَ فَاعِلُهُ *** يَأْمَنُ يُعَدُّ عَلَيْهِ الْعُمَرُ بِالنَّفْسِ
أَحْفَظُ لِيَشِيكَ مِنْ عَيْبٍ يُدْنِسُهُ *** إِنَّ الْبَيَاضَ قَلِيلُ الْحَمَلُ لِلدَّنَسِ
كَحَامِلٍ لِيَأْبِ النَّاسِ يَغْسِلُهَا *** وَتَوْبُهُ غَارِقٌ فِي الرَّجْسِ وَالنَّجَسِ»⁽²³⁾

ب- صفات المنصوح وآدابه:

طبعاً لابد للمنصوح من آداب وصفات يتحلى بها في تعامله مع الناصحين داخل المجتمع، تمكنه من تقبل نصحهم ونصحهم له في حدود الشرع، ومع ذلك لابد له من صفات نفسية وخلقية تجعله تقبل النقد الذي يصلح القلب والروح.

1- صفات المنصوح:

*- الرضا والقبول بمبدأ النصيحة، وعدم التبرم بها ما توافرت لها شروط ذلك.

*- الدعاء للناصح بما يليق بشرف عمله هذا.

*- إظهار الحرص على ضرورة استمرار التناصح بين المسلمين.

2- آداب المنصوح:

*- أن يتقبل النصيحة بصدور رحيب: وذلك دون ضجر منه أو ضيق صدر من الناصح الذي ليس له مصلحة أو منفعة من النصيحة ماعدا إرضاء الله ورسوله الكريم، واحترام الضوابط الشرعية، وعلى المنصوح أن يتقبل ذلك برحابة صدر لأن ذلك يعد هداية وتوجيها محمودا في سلوكياته، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى تقبل النصيحة بأي وجه وتاديتها على أحسن وجه.

*- عدم الإصرار على الباطل: فالشخص المنصوح عليه دائما الرجوع إلى الحق ومكارم الأخلاق لأن التمسك بالباطل يعد ذليلة شرعية يؤثم عليها، والمسلم عليه الحذر من أن يكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلْمَهُادُ﴾ (البقرة: ٢٠٦) (24).

*- أخذ النصيح من العاقل: لأنه يستفيد من رجاحة عقله وحكمته التي وهبها الله تعالى، كما أن المسلم يتجنب دائما نصيح الجاهل أو الفاسق لأنه سوف يضره من حيث لا يحتسب، ومع ذلك فالمسلم عليه دفع المفاسد والحفاظ على المقاصد الشرعية حتى ولو بالقلب.

*- شكر الناصح: يجب على المنصوح أن يقدم الشكر لمن نصحه لأنه يعد نوعاً من الإطراء للمنصوح وتشجيعاً له على تقديم النصيحة للغير، وهذا يدخل في الآداب العامة بين المسلمين داخل المجتمع، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

3- موجبات التناصح والنقد:

عادة لا يقدم الناصح النصيحة إلا عندما يستدعي الموقف منه وجودها، وبإمها الذي يمكن أن يقال فيه وعليه فالناصحون الآن لابد لهم من توجيه شرعي يقودهم لتقديم النص المقبول شرعاً والذي يتوافق مع سلوكيات المسلمين لضمان التقبل منهم، وهذه النصائح تقتضي قدراً هاماً من المعرفة الشرعية في مجالات الدين من فقه العبادات إلى المعاملات وإلى باب السلوكيات الخلقية والتي يجب أن يترى عليها المسلمون قاطبة، وقد حدد علماء الشريعة ذلك سلفاً حتى لا يقع الناقد أو المنقود في باب اللبس والزلل الشرعي، ومنه يجب على الناصح أن يكون عالماً ملماً بكل الأمور التي تمكنه من عرض النصيحة وتقديمها للمسلم في أطرها، دارياً بفوائدها على عامة المسلمين، وبتركها هلاكه وضياح الدين، والنصيحة في العموم تحب في الآتي:

أ - الأمور الشرعية (مقاصد الشريعة):

من النقد والناصحين — وما أكثرهم في زماننا — من يتوجه بالنصيحة لمخالف جاءت مخالفته من جهة التقصير في باب العبادات مثلاً كأداء بعض حركات الصلاة، أو تقديم الصدقة والزكاة أو تقديم مناسك الحج أو العمرة وغيرها من العبادات التي يتعلق فيها الإنسان مع خالقه، فترى الناصح فيها يسرد عليه الاعتقاد الصحيح موجهاً ومصححاً له ما وقع فيه من معصية أو لبس، وما كان عليه السلف من منهج وسلوك، ومسائل الأصول والوعود والوعيد، والأدلة

الشرعية في باب الترغيب والترهيب، وإن كانت النصيحة مكتوبة ، فلا ينسى أن يقتطع له تفسير بعض سور القرآن الكريم، وأقوال أهل العلم فيها إلى أن يدوِّخ المنصوح، ويجعله في حيرة من أمره، أو ينفره من الأخذ بنصحه وتوجيهه الشرعي، ويحمّله على أن يسأل ما هي مخالفتي وما هو المقصد الشرعي من ذلك؟ ولو أعرض المنصوح حينئذٍ عن الناصح أو الناقد لا أظنه يُلام في هذه المسألة أصلاً.

وفي بعض الأحيان نجد بعض الناصحين المغالين في خطأ ما ، يجوز الرد عليه بأسطر وكلمات محدودة تفي بالغرض، يلجؤون إلى تضخيم ذلك الخطأ وتحويل الأمر على المنصوح ، فيرد عليه بكتب ومجلدات ومحاضرات ، تغيب فيها الغاية أو الغرض من ورائها ، وهو إزالة الخطأ وتصحيحه، هذا التحديد في المواضيع التي تحتاج إلى نصيحة أو نقد مهم جداً ليس فقط عندما تكون النصيحة بين المسلمين بعضهم مع بعض بل عندما تكون النصيحة بين المسلمين وغيرهم من المشركين والكافرين، فالله تعالى أمرنا أن نبدأهم بالقضية الأساس والأهم وهي مسألة التوحيد، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَٰةٍۭ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ آل عمران: ٦٤⁽²⁵⁾، وبالتالي فالخطأ الذي يقع فيه عادة الدعاة الناصحون هو تجاوزهم لهذه القضية الأهم ومحاولة إشراك قضايا عديدة معها تشتت ذهن والانتباه عن القضية الأهم والأساس.

ب- الأمور الدنيوية (الآداب العامة والسلوكات):

إن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليف ليس بالهين ولا باليسر، إذا نظرنا إلى طبيعته، وإلى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم، ومصالح بعضهم ومنافعهم وغرور بعضهم وكبرياتهم، فالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل محفوف بالمكاره ومحاط بالصعاب، ومن أجل ذلك رفع الإسلام قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى مرتبة القضايا الهامة في الحياة الإسلامية، ومن هنا فقد جعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصائص المؤمنين التي يتميزون بها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَا۟ءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ التوبة: ٧١⁽²⁶⁾.

وفكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدة عظيمة من قواعد الدين تظهر فيها مسؤولية الفرد المسلم تجاه جماعته ومجتمعه وتظهر فيها أيضاً مسؤولية الأمة الإسلامية تجاه الجماعة الإنسانية بأسرها، تلك المسؤولية التي تحتم على الأمة الإسلامية أن تتصّب كالجبل الأشم أمام الشرور والمفاسد التي تكتنف حياة الناس، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام الأول لمن أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وكان قدوتهم وأسوتهم في الدعوة إلى الله تعالى، وكان صريحاً كل الصراحة، وواضحاً كل الوضوح في قوله الحق، وفي تقديم النصيح والنقد لعامة المسلمين وخاصتهم من أصحابه وحتى من أهل بيته، فهذه أخلاقه "صلى الله عليه وسلم"، وكانت هذه الصراحة مزيجاً من الأدب والذوق والخلق، فما كان غليظاً في قوله، ولا فظاً في أمره ونهي، بل كان المثل المحتذى في اللين والرفق وحسن الخلق والعلم بمواقف إنكار المنكر وظروفه وما يترتب على إنكار المنكر من آثار إيجابية أو سلبية، كما كان صلى الله عليه وسلم يأمر الدعاة إلى الإسلام بالتيسير على الناس، وتبشيرهم بالخير، ويحذرهم من تنفير الناس عن الدين أو التيسير عليهم في مطالب الحياة، ولا تزال كلماته لمعاذ ابن جبل وأبي موسى الأشعري تطرق أسماعنا: "بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطاوعا" متفق عليه.

ج- المعاملات

وفي باب المعاملات الشرعية يجب تحديد موضع ومواطن الخلاف التي تحتاج إلى نقد أو نصيحة، وتحديد نوعها وحجمها ، والضرر الذي لحق بالشرع والمسلمين من مخالفتها، وهل لها مساس بالعقيدة والتوحيد أم أنها تتعلق

بالمعاملات وبعض التطبيقات العملية الفقهية؟ وما هو حجم وأثر هذه المخالفة على المخالف ذاته، وعلى الناس والمجتمع من حوله؟ هذه الأسئلة كلها يطرحها الناصح، والمنصوح على السواء، ففي المعاملات التجارية يكون البائع أو المشتري أحدهما مضطراً لتوجيه النصيحة إلى الآخر، فهناك نوع من التجار والباعة من يستسلم لنوازعه الانتهازية فتراه يتحایل على المشتري بكل ما أوتي من فطنة وذكاء، همه الوحيد تسويق سلعته، التي تشوبها المخالفات القانونية والشرعية كأن تكون منتهية الصلاحية، أو أن تنتج مخالفة لشروط الأمن والسلامة، لكنك تجد التاجر ينمق أوصافه ويطري على سلعته حتى تنال القبول والاستحسان من المشتري الذي سرعان ما يكتشف الخداعه من طرف التاجر الذي يتعمد في ضلاله و يلجأ للتطفيف في الميزان، فهذا الأمر يحتاج إلى تدخل المتخصصين من أهل النصيحة ليحاولوا تقديم النصح لذلك النوع من الباعة، عسى أن يهتدوا خشية الله جل وعلا الذي يقول في سورة المطففين، قَالَ تَعَالَى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝۱ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝۲ وَإِذَا كَالُوهُمْ ۝۳ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝۴﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝۵ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝۶ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝۷﴾ المطففين: ١ - ٦ (27)، فالتمسك بشريعة الله تعالى في معاملات التجارة أمر مهم يوصل الأمة الإسلامية إلى ما فيه الخير والرشاد، فتقبل النصح بين المتعاملين من شأنه زيادة الثقة بينها، ومثل ذلك في مختلف ضروب المعاملات.

*- خاتمة:

في حقيقة الأمر كله نشير إلى الفرق الشاسع بين النصيحة وإبداء الآراء وتعدددها، فمن حق المنصوح ألا يأخذ برأي الناصح إذا لم يقتنع به، ويحتفظ برأيه هو لنفسه ويعمل به؛ لأنه يراه مناسباً لواقعه وظروفه وأحواله ونشأته وثقافته ومرجعياته، ما دام في دائرة الحلال، ويشكر الناصح عن طيب نفس منه، وله ثوابه عند الله، وعلى الناصح هنا أن يفرق بين النصيحة حين تكون مُستحبة، أو مفروضة، أي يُثاب بفعالها ويأثم بتركها، وهي التي تكون أساساً إذا فعل المنصوح حراماً مؤكداً معلوماً لا رأي آخر فيه بعدم حرمة، أي ضرراً واقعاً، فتكون واجبا عليه حينئذ يأثم إذا لم يفعلها، إلا إذا أجلها لسبب ما حتى يأتي أنسب وقت للاستجابة لها ولتنفيذها؛ لتحقيق أعظم نتائجها.

*- التوصيات:

*- ضرورة إقامة العديد من المؤتمرات والملتقيات حول النصيحة ودورها في تعزيز رابطة التواصل الاجتماعي، ومحاولة تفعيلها داخل سلوكيات والآداب العامة خاصة في دور العبادة والمساجد والجمعيات الدينية، ودور العلم في المعاهد والكليات والجامعات الشرعية، وحتى طرحها للنقاش العلني في وسائل الإعلان الورقية والسمعية البصرية وحتى الرقمية خاصة في شبكات التواصل الاجتماعي كـ "الفيس بوك واليوتيوب وتويتر"، وغيرها إذ لا يمكن عندها إغفال الوظيفة التبليغية التواصلية في مجال تقديم النصيحة الرقمية عبر مختلف الوسائط الإلكترونية، والتي باتت ضرورة شرعية توظف فيها التقنية في توسيع مفهوم ودور الناصح في الحياة المعاصرة.

*- إنشاء في الأحياء السكنية جمعيات تهتم بالنصيحة بين المسلمين تشبه جمعيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقوم بدور النصح والإرشاد الخلقي والنفسي وتحقيق الشرع بين مختلف فئات الأفراد دون ضرر أو ضرار، أو منفعة شخصية ترجى من ذلك.

*- ضرورة وضع برامج تدريبية للمتسبين في النصح التطوعي بين المسلمين، وهذا لا يكون موجوداً إلا من خلال توصيات شرعية من طرف المسؤولين على إقامة الدين وتطبيق شرعته قلباً وقالباً.

*-دعوة كل الأئمة في الخطب المنبرية على تفعيل دور النصيحة وتقديمها للمصلين على أنها تعدّ من أسس العلاقات الاجتماعية التي تؤلف بين المسلمين، وهذا من خلال خروج الأمام إلى الطرقات والأسواق عادة وتقلّم التوجيه، لهذا ونصح الآخر بما يقتضيه الشرع ومدح هذا ونقد الآخر دون تجريح حتى يكون قدوة للمسلمين والناصحين من الدعاة المتدربين خاصة.

*-تفعيل دور الإعلام السمعي البصري وحتى الرقمي بطرح دور النصيحة الشرعية وتحفيز المسلمين على تقبلها من كل أفراد المجتمع، حتى تسود الآداب العامة التي تحترم فيها كل قضايا الدين الحنيف، وهذه البرامج تكون على طول السنة لأن النفس أمارة بالسوء فيجب علاجها دوريا بالنصح والنقد حتى تعود إلى رشدها.

*-إنشاء مراكز بحثية تقوم بنشر الأبحاث والمطبوعات الورقية التي تحتوي النصائح الشرعية في مختلف المجالات الوعظية خاصة في الأسواق ودور العلم كالمعاهد والجامعات، والمساحات العمومية، وجميع المؤسسات الاقتصادية الوطنية والأجنبية التي تكون في محيط المجتمع .

الإحالات والمواشم:

*- القرآن الكريم برواية حفص.

المصادر:

- 1- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ج17، ط4، 2004.
- 2- محمد نصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، مع1 و مع2، ط3، 1988/1408.
- 3- ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ج1 و ج2، ط1419، 8هـ/1999.
- 4- أحمد بن محمد القسطلاني: منتقى تحفة الحبيب للحبيب بما زاد على التريغيب والترهيب، تحقيق محمد فارس، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1417، 1/1996.
- 5- أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، د.ط، د.س.
- 6- محمد ناصر الدين الألباني: السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض-المملكة العربية السعودية، د.ط، د.س.
- 7- ديوان الإمام الشافعي: تقلّم عبد الرحمن المطاوي، دار المعرفة- لبنان، ط3، 2005/1426.
- 8- أبو سعيد الحسن السكري: ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط2، 1418هـ/1998.
- 9- أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي: الموطأ، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة-القاهرة، د.ط، 1998.

المواشم:

(1) آل عمران، 188.

(2) الأعراف، 79.

(3) الحجرات، 10.

(4) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ج17، ط4، 2004 ص268.

- (5) محمد نصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ح 6287، مج 2، ط 1408، 1988/3، ص 1078.
- (6) ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ح 34، ج 2، ط 8، 1419 هـ / 1999، ص 243.
- (7) أحمد بن محمد القسطلاني: منتقى تحفة الحبيب للحبيب، بما زاد على الترغيب والترهيب، تحقيق محمد فارس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ح 501، ط 1417، 1996/1، ص 119.
- (8) العصر، 1-3.
- (9) ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، ح 7، ج 1، ح 7، ص 215.
- (10) المصدر نفسه، ح 13، ج 1، ح 7، ص 302.
- (11) أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي: الموطأ، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د. ط، 1998، ص 319.
- (12) أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ح 4918، د. ط، د. س، ص 533.
- (13) الأسراء، 16.
- (14) الأنبياء، 11.
- (15) المائدة، 78، 79.
- (16) محمد نصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، ح 5749، ج 2، ص 1002.
- (17) ناطر، 6.
- (18) التوبة، 107.
- (19) أبو سعيد الحسن السكري: ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ط 2، 1418 هـ / 1998، ص 403-404.
- (20) النحل، 125.
- (21) محمد نصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، ح 3151، ج 1، ص 602.
- (22) ديوان الإمام الشافعي: تقدم عبد الرحمن المطاوي، دار المعرفة - لبنان، ط 3، 2005/1426، ص 74.
- (23) ديوان الإمام الشافعي: تقدم عبد الرحمن المطاوي، ص 68.
- (24) البقرة، 206.
- (25) آل عمران، 64.
- (26) التوبة، 71.
- (27) المطففين، 1-6.